

سنة هدى قساطلي معرضاً عظيماً لدى "غاليري مغبغب" 365 لقطةً فوتوغرافيةً تُكرم روح الضوء وبصيرة التاريخ

قد تكون النشاطات الفنية شهدت انحساراً خلال الفترة الماضية. السبب معروف، ولسنا في حاجة إلى جهد كبير كي ندرك أن الوطن يمر بمرحلة مفصلية في تاريخه الحديث، تبدلت على أساسها الظروف وتغيرت الأولويات. وطن لم يعد يشبه تلك الصورة التي رسمها له مؤسسوه، والتي تستلهم الكثير من عالم الأحلام، عاشه مجتمع كان شهد زماً جميلاً، لم يبق منه سوى نتف من الذكريات يحمل بقاياها جيل الآباء، ومن قُدّر له أن يبقى حياً في وقتٍ لا يفصل فيه بين الحياة والموت، في مفاهيمه الحقيقية والرمزية، سوى شعرة رفيعة.



المعماري والتقاليد الاجتماعية. أما في ما يختص بالناحية الفنية - البصرية، فلا بد من الإشارة إلى أن أعمال الفنانة - المصوّرة أنت بعيدة عن الزيت والتصنع، أكان ذلك من حيث الشكل أم من ناحية الجوهر. هكذا، لجأت قساطلي إلى الضوء الطبيعي في تصويرها للمشاهد الطبيعي أو الصورة الشخصية، بعيداً من المؤثرات التي يعتمدها عالم الدعاية والإعلان. هذه الخصوصيات سوف يكون في استطاعة المشاهد أن يرصدها من خلال 365 صورة فوتوغرافية (يبدو أن العدد كان مقصوداً بالطبع لتطابقه مع عدد أيام العام)، وهي مؤزعة على 5 معارض تمتد على مدار السنة.

كما تجدر الإشارة إلى أنه تم تنظيم طاولة مستديرة يوم 30 كانون الثاني لمناسبة إطلاق سنة هدى قساطلي في "غاليري أليس مغبغب"، شارك فيها عددٌ من المحاضرين، وتنوّعت موضوعات الجلسة بين التراث المادي والمعنوي، وبيروت ومساكنها، وإنجازات قساطلي في الإطار العواصمي، ومسألة تدمير البيئة وإعمار الإفلاس. في هذه المناسبة قدّمت الفنانة كتابها الأخير المعنون: "من تراب وأيد بشرية، بناء بيت سوري ذي قبب".



الطبيعة التي تنتهك بدورها، الروائع الحرفية في بيروت وطرابلس، الثروات البيئية في المناطق اللبنانية، وصولاً إلى الساحل ودالية الروشة. ولا شك في أن تخصص قساطلي في دراسة الأجناس (الإثنولوجيا) كان ساعد في صقل نظرتها إلى كل ما يمت بصلة إلى التراث

مستقبل في المعنى الحقيقي للكلمة، وإعتبار الإبداع سلاحاً ينتصر به الفنان على قوى "الشر"، وما أكثرها في بلدنا.

تعود بدايات هدى قساطلي في مجال التصوير الفوتوغرافي إلى العام 1978، وقد ارتبطت هذه الأعمال دائماً بالهم الإنساني، وما يلتصق به من مظاهر وتفاصيل وتعقيدات. لا شك في أن الحرب الأهلية فعلت فعلها في هذا المجال، لجهة الخراب الذي عانتها، من جزائها، العمارة والوطن ككل. لكن أحد المفاصل الرئيسية في نتاج قساطلي يتمحور حول أعمال التدمير المنهجية التي لحقت بالتراث في لبنان خلال العقود الثلاثة الأخيرة. هذا الدمار لم يكن كله نتيجة للحرب المذكورة، بل حدث معظمه في شكل مقصود، من خلال تدمير ما هو "قديم" بهدف إخلاء الأمكنة لتقام عليها عمارات لا تمت بصلة إلى البيئة والإنسان، وحتى إلى الناحية البصرية، بل طغى الهم التجاري على سواه من هموم. هذا، إضافة إلى تجاهل ما تمثله العمارات القديمة من قيمة تراثية ومكانة في الذاكرة الشعبية.

على أن ما التقطته عدسة قساطلي طاولت مرافق وموضوعات أخرى، من مثل البيئة، النازحين، الأسواق القديمة،

محمد شرف

لا يمكن النظر إلى أي نشاط فني، أو أنواع أخرى من النشاطات الحياتية، في هذا الزمن، بمعزل عما يحدث على المساحة المحلية. قد لا يرتبط هذا النشاط، في شكل مباشر، بالحدث المحلي، لكن مجرد قيامه، ونظراً إلى فحواه ومدلولاته، سيكتسب من دون شك معنى مختلفاً، وسيصعب، من قريب أو بعيد، وبهذا الشكل أو ذلك، في خاتمة الإنتفاضة المباركة، ذات المفاصل والمعاني المتعددة، وخصوصاً حين يتعرّض لشكل من أشكال الفساد المستشري في أكثر من مجال، وعلى أكثر من صعيد.

على هذا الأساس يمكن النظر إلى مخطط "غاليري أليس مغبغب"، التي شاءت أن تحتفل بمئوية تأسيس لبنان على طريقها الخاصة من خلال جملة من النشاطات تمتد، تتابعاً، عاماً كاملاً. وما المعرض الذي تقيمه لأعمال هدى قساطلي الفوتوغرافية، المستمر حتى نهاية العام، والذي يشكّل باكورة هذه النشاطات، سوى أحد أشكال الإلتصاق بالفكرة الأساس: الإيمان بقدرة الفن على تغيير نظرتنا إلى العالم، والسعي إلى بناء